

مجلة  
**العاصمة**

مجلة بحثية سنوية محكمة  
المجلد السابع، ٢٠١٥ م

ISSN (Print) : 2277-9914

ISSN (Online) : 2321-2756



قسم اللغة العربية، كلية الجامعة  
تروننتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## واقع تعلم اللغة العربية لدى المرأة المليبارية : قراءة في جهود تنسيق الكليات الإسلامية في ولاية كيرالا الهندية

محمد علي الوافي

باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، الهند

النساء شقائق الرجال، وهي تمثل نصف المجتمع في كل أمة وفي أي بلد عبر التاريخ، والمرأة قامت وتقوم بدورها دائما إلى جانب الرجل سواء بسواء، في السراء والضراء، وفي مختلف مجالات الحياة حسب الظروف والأوضاع والزمان والمكان<sup>(١)</sup>. والتاريخ قد أظن في



تصوير نماذج للذكور من العلماء والأدباء واللغويين، ولكن الإنجازات العلمية والأدبية التي قامت بها المرأة الهندية، وجميع مساهماتها القيمة كانت في غاية من الخفاء والخمول. والباحثون لا يكاد يسمعون ذكرها ولا آثارها في الدراسات العربية والإسلامية تدوينا وتأييفا وتعلينا. كان للمرأة المسلمة منذ فجر الإسلام اهتمام واضح في تلقي العلم، وقد أنبأنا صفحات التاريخ عن الحضارة العربية الإسلامية، حيث نرى الإسلام لا يعترف بحضارة تغفل تعليم المرأة وكشف ظلمة التخلف عنها. واستمرت المرأة في الحضارة الإسلامية، ليس في الهند فقط، بل في كل البلدان التي أبقت الحضارة الإسلامية فيها بصماتها، على صلة قوية باللغة العربية، وقد أظنبت كتب التاريخ والتراجم والطبقات بسرد أسماء كثيرة من النساء اللواتي تعلمن الكتابة والقراءة، وروين الحديث وبرعن في التفسير والفقه والإفتاء، وكان منهن الأدبيات والشاعرات والعالمات، وكُنّ مثالا في التعلم ونشر العلم بمختلف الوسائل المتاحة لهن.

ومن هذا المنطلق يجدر هنا الإشارة إلى الجهود التي يقوم بها تنسيق الكليات الإسلامية Islamic Colleges في ولاية كيرالا الهندية، تكميلا لاستمرار الحركة التعليمية والنشاطات اللغوية التي كانت عليها المرأة المسلمة في تاريخها وحضارتها. وتنسيق الكليات الإسلامية هيئة علمية شبه جامعة إسلامية تتصدى لهذه الغاية المنشودة. تأسست عام ٢٠٠٠م، وسجلت لدى الحكومة برقم ٠٤/٣٧٩، واعترفت بها جامعة الأزهر بالقاهرة، وجمعية العلماء لعموم كيرالا في الهند، وينتسب إليها حتى الآن ٤٥ كلية إسلامية، وقد اعترفت بها الجامعات الإسلامية الدولية.

<sup>١</sup> يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى الجزائر ٢٠٠١، ص ٩

وعلى الرغم من الجهود المبذولة على الصعيد التربوي والثقافي للارتقاء بالمستوى العلمي للمرأة المليبارية، واهتمام بالغ من الحكومة بتحسين أساليب تعليم أبنائها وبناتها، ليتمشوا مع التطور التكنولوجي المتسارع، إلا أن الأمية لدى الفتيات ما زالت نسبتها كثيرة. وأما درايتها باللغة العربية والدراسات الإسلامية فكانت بسيطة جدا. حيث هذه الفترة التاريخية التي مرت عليها المرأة المليبارية لم تطلب من المرأة المسلمة سوى دراية بعض الأدعية والأذكار، ثم حفظها لبعض سور القرآن وبعض الأحاديث المشهورة. ومن هذا المنطلق أعد تنسيق الكليات الإسلامية منجها جديدا يثقف البنات بثقافة إسلامية وعربية حيث يعد الطالبات بعد الثانوية للباكالوريا في العلوم الإسلامية والدراسات العربية إلى جانب الباكلوريا في إحدى العلوم الإنسانية أو العلمية (حسب منهج جامعة حكومية) خلال خمس سنوات. يستهدف هذا المنهج الفريد في نوعيته إلى إعداد كوادرنسائية يقمن بالدعوة الإسلامية وينشرن الدراسات العربية، بالإضافة إلى تثقيفهن بأهم فروع علم الأسرة. وتلقب المتخرجة عليها بـ "الوفية"

### حالة التعليم قبل تنسيق الكليات الإسلامية

رغب الإسلام في تعليم المرأة وتثقيفها كي تكون جزءا لا يتجزأ في المجتمع الإنساني ولكي تتولى فيما بعد تربية الأجيال وتثقيفهم بوعي وأمانة وجدارة، وهي في ذلك كالرجل، بل تحتل مكانة أجل وأكثر أهمية. وكأي أمة من الأمم كان المليباريون أيضا قد عنوا بتعليم أبنائهم وبناتهم بالوسائل المتاحة لهم. وكانت الأوضاع التعليمية للمرأة المليبارية عبر القرون بالوسائل التقليدية مثل المنازل والدروس التقليدية (في المساجد، والمدارس الدينية) والكتاتيب المعروفة باسم أوت فالي Oathu Palli<sup>(١)</sup>. وهذه المدرسة كانت تتماشى مع نمط حياة الإنسان في تلك الفترة. وقد استمرت تلك الفترة ما بين القرن الخامس عشر للميلاد والقرن التاسع عشر للميلاد. وفي هذه الفترة نجدها تسعى نحو طلب العلم والمعرفة، ونراها عالمة وشاعرة ومستفسرة عن أمور دينها ومسائل ينبغي أن تعلمها، ومع ذلك وهي تحسن اللغة العربية وتجيد الكتابة العربية وتقرض الشعر، كما أنها برعت في علوم أخرى مثل المنطق والفلك والرياضيات.

### الوسائل التعليمية التقليدية.

وقد كانت وسائل التعليم والتعلم منحصرة في البيوت أو في "أوت فالي"، إلا أنها شمرت عن ساقها ليكون لها قدم سبق في مجال التعلم والتعليم. ومن الوسائل المتاحة لها في ذلك الحين، بيتها ومنزلها، لأن المنزل هي المدرسة الأولى. وإنهن كن يستفدن من الدروس التي كانت تعقد في بيوتهن لتعليم الطلاب حيث كن يستمعن إلى ما كان يلقي في منازلهن من دروس. ولكن هذه الوسيلة متاحة للتي إن والدها أو أحد أقاربها من العلماء. إذا كان التعلم والتعليم داخل المنازل- بين الآباء والأزواج أو غيره ممن ذوي المحارم- إن تيسر لبعض الإناث، فإنه قد لا يتيسر لشريحة أخرى من النساء. تزخر المصادر التاريخية عن حرص المرأة المليبارية على اللغة العربية والدراسات الإسلامية، حيث إن الأثرياء في المجتمع المليباري يكفلون المتعلمين الذين أتوا إلى الدرس التقليدي في مساجد قريتهم لتعلم الكتب الدينية واللغة العربية من التفسير والفقه والعقيدة، ومثل النحو

<sup>١</sup> أوت فالي أو الكتاتيب الشعبي، المركز التعليمي الشعبي، لا يختلف تماما عن نظيره في شمال الهند وفي أيدولة إسلامية، وهي شبه مدرسة، ولكن تتميز بوحدة عضو التدريس، تقع غالبا - بجوار مسجد القرية، وإمام المسجد يكون في منصب المدرس في أوت فالي، ويعرف الإمام بمولا (Mulla) أو مولاكا (Mullaka) أو مسلييار (Musliyar). تتوفر هنا المبادئ الدينية والتعليم الأساسية. ويتم تعليم الطلاب سور القرآن والأدعية، وقراءة العربية وكتابتها.

والصرف والبلاغة والمنطق. وكان هؤلاء الأثرياء يكفلون طعامهم وشرابهم حيث يجيء المتعلم إلى بيوتهم وقت الطعام، وفي هذه الأوقات يُطلب المتعلم بتعليم من في البيت من البنات والفتيات، إما في وراء الستار أو في الحجاب. وتوجد في كتب التاريخ المرأة المثقفة تحمل مسؤولية التعليم والتثقيف في المجتمع المليباري، وهذه العملية التعليمية هي الأحسن من أنواع التعليم، لأن طرفيها يتكونان بالمرأة، يعني تعليماً وتعلماً. وهذا النوع من التعليم انتشر في مختلف أقطار العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>.

### تنسيق الكليات الإسلامية

تنسيق الكليات الإسلامية هيئة علمية شبه جامعة إسلامية تتطلع تثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية إلى جانب العلوم الإنسانية وتطوير المناهج الدراسية التقليدية في إطار معطيات العصر الحاضر وتوحيدها. تأسست عام ٢٠٠٠م، وينتسب إليها حتى الآن ٤٥ كلية إسلامية، وتجعل من مركز التربية الإسلامية/ كيرالا، الهند مقراً لها. ويهدف إلى تخريج أجيال جديدة من العلماء الذين يجمعون بين القديم والجديد وبين المعارف الإسلامية والعلوم الإنسانية ويلقبون بـ"الوافي" (بنين) و"الوفية" (بنات) إشارة إلى التكامل المعرفي الذي يتمناه مصممو المنهج لهم ويتمنا بقول الله: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً". وقد اعترفت بتنسيق الكليات الإسلامية جامعة الأزهر بمصر، وقد حصل على مذكرة التفاهم مع جامعة القاهرة، دار العلوم، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. واتفاقية مع معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة، والرابطة الدولية العربية (ALECSO)، وحصلت معادلة الشهادة بمرحلة البكالوريوس من جامعة علي كره، ومن جامعة همدرد، وفتحت رابطة خريجي الأزهر في مقر الكليات الإسلامية مكتبهم، وأقامت فيها جامعة كاليكوت والجامعة المليبية الإسلامية مراكزها للتعليم عن بعد<sup>(٢)</sup>.

### جهود التنسيق في التعزيز اللغوي لدى البنات في كيرالا

يعد ظهور الكليات الإسلامية للبنات المنتسبة إلى تنسيق الكليات الإسلامية نقطة تحول في تعليم المرأة المسلمة في كيرالا، حيث كان تعليم المرأة المسلمة يستمر قاصراً على المرحلة الابتدائية في المدارس الدينية والحكومية إلى عام ٢٠٠٨م، ومن ثم تم، بريادة منسق الكليات الإسلامية الأستاذ عبد الحكيم الفيضي الذي اختاره الموقع الإسلامي المرموق إسلام أون لاين Islam Online نجم العام ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ، في مجال التربية والتعليم والأدب والإبداع، كما اختاره الموقع الإسلامي المشهور أون إسلام نت On Islam Net نجماً سنوياً للنشاطات الثقافية والعلمية لعام ٢٠١١م/١٤٣٢هـ<sup>(٣)</sup>، وضع صورة جديدة لتعليم المرأة المسلمة تحت سقف تنسيق الكليات الإسلامية، وسميت بالوفية. والهدف المنشود من هذه الخطوة المباركة هي تثقيف البنت المسلمة بثقافة عربية إسلامية، وأسلمة الأسرة والمجتمع ونشر الدراسات الدينية بين النساء، وعدد الطالبات في السنة الأولى ١٠٠ طالبة، وكانت اللغة المستخدمة للتعليم هي اللغة العربية.

<sup>١</sup> محمد عويس، دور المرأة في العلم والتعليم عبر العصور الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت (رقم العدد: ٥٣٠) ديسمبر ٢٠٠٩م

<sup>٢</sup> نشاد علي الوافي، جهود تعزيز اللغة العربية بولاية كيرالا الهندية، مجلة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد ٥٧٩، شهر يناير ٢٠١٥، ص ٤٣

<sup>٣</sup> Essay, Muslim Stars of the Year 2011, Prof. Adrusseri: A Developer of Islamic Education: A Model from India, by Culture & Entertainment Editor, website: <http://www.onislam.net/english/culture-and-entertainment/media/455419-prof-adrusseri-a-developer-of-islamic-education.html>

لا شك أن المنهج الدراسي الذي تتبعه الكليات الإسلامية للبنات المنتسبة إلى تنسيق الكليات الإسلامية، تعطي الركيزة الأولى على الدراسات الإسلامية كما لها عناية بالغة باللغة العربية، ويشتمل المنهج على التقنيات اللغوية العصرية كي يعدّ الطالبة المتخرجة ماهرة في اللغة العربية الفصحى واستخدامها الصحيح، وتتعلم المتخرجة على هذا المنهج الجديد جميع المواد اللغوية من النحو والصرف، والأدب العربي، والخط العربي، والإنشاء والإملاء والتطبيقات اللغوية، واللغة الوظيفية، والبلاغة، والمنطق، إضافة إلى المواد الإسلامية من الحفظ وتفسير القرآن والحديث النبوي والفقهاء الشافعي والتاريخ الإسلامي.

### المرحلة التمهيديّة

تقبل الطالبات في مستهل شهر يونيو من كل عام، حيث تقيد الطالبة بمرحلة التمهيّد بعد تأهلها لمتابعة الدراسة من الثانوية العامة الحكومية (SSLC)، والإعدادية الدينية (الصف السابع) حسب منح لجنّة تعليم الدين الإسلامي التابعة لجمعية العلماء لعموم كيرالا أو ما يعادله، وبعد اجتيازها الامتحان الدخولي بنجاح. وتمرن الطالبة في اللغة العربية والإنجليزية، مع تركيز خاص على اللغة العربية حيث تتقن مبادئها من النحو والصرف كما تشمر أن تتقن السماع والتحدث والقراءة، والخط والإملاء. ويدرسن في النحو كتاب 'النحو الواضح في قواعد اللغة العربية' لعلي الجارم ومصطفى أمين، وفي الصرف تتلقى دروسها من كتاب الميزان، ومن كتاب الأجناس الصغرى، وكتاب الأجناس الكبرى للشيخ محمد لب القاهري، وكتاب التصريف العزى للشيخ عز الدين إبراهيم الزنجاني. ومن خلال هذه الكتب المشار إليها تتقن الطالبة أوزان الأفعال العربية وتدقق ضوابط الصرف والنحو. وتجد الطالبة فرصة لتتمرن على الكتابة العربية في أساليب التعبير، وتكلف الطالبة بإعداد فقرات سهلة في العربية كي ترتقي بلغتها والتعبير فيها، إضافة إلى حصص تتمرن فيها الخط النسخي والرقعي وغيرهما. ويطلب تنسيق الكليات الإسلامية من الأساتذة أن يتبعوا طرقاً عملية للتدريس بحيث يكون التركيز فيه على أعمال القواعد وتطبيقها من خلال التمارين الكثيرة، لا على محاكاتها وترديدها، وبحيث تشجع الطالبة على استخراج القواعد من الأمثلة والنصوص.

### المرحلة العالية

وبعد إتقان مبادئ اللغة العربية في المرحلة التمهيديّة، تنتقل الطالبة إلى المرحلة العالية بعد اجتياز امتحان تجريه هيئة الامتحانات. ومن هنا تبدأ الطالبة بإجادة اللغة العربية والتعرف على العربية الفصيحة من المنثور والمنظوم. وفي المرحلة العالية تتعرف على أساسيات البلاغة والنحو والأدب والمنطق. وتحقيقاً لهذا الهدف المنشود يستعان بالكتب المعتمدة مثل ديوان الإمام الشافعي، وكتاب الألوان، وكتاب دروس البلاغة لحفنى ناصف ومحمد دياب وسلطان محمد ومصطفى طوموم، وكتاب قطر الندى لابن هشام، بالإضافة إلى الكتب الدينية من القرآن وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي، ومشكوة المصابيح للخطيب التبريزي، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني مع حاشية الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري، وفتح المعين بشرح قرة العين للإمام أحمد زين الدين المعبري المليباري، ومختصر كتاب التمهيّد في تخريج الأصول على الفروع للإمام عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي أبو محمد، وكتاب النكاح من إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، وتاريخ المجتمع الإسلامي الموجز للكاتب الباكستاني سرور سولت، وكتاب الأفكار والأيدولوجيات، وكتاب الأديان الهندية للأستاذ محمد علي القاسمي.

تجري برامج نشيطة وتوعوية خاصة في بعض أيام العطل الداخلية والمناسبات الرسمية مثل يوم الاستقلال ويوم الجمهورية. ويدعى لها كبار العلماء والأطباء من مختلف التخصصات ورجال القانون والسياسة والأدباء والعسكريون ومنمو الشخصية، يدرّب الطلاب في مهارات العرض بالعربية والإنجليزية واللغة الأم مثل الخطابة، المناظرات، محادثات المائدة، المقالات، الشعر، المسابقات الأدبية، المجالات الخطية، الكتيبات، جرائد الحائط. يقوم تنسيق الكليات الإسلامية بتنظيم دروس تساعد الطالبات على تطوير شخصياتهن وتقوية معنوياتهن، كما يقوم تنظيم ورشات عمل للمدرسين لتزويدهم بالمستجدات على الساحة التربوية وعلى مناهجه الدراسية ولتطوير شخصياتهم وقدراتهم التدريسية، وورشات لأعضاء مجلس الكليات لتوعيتهم بأهمية دور الإدارة الفعالة في التطور الكلي للعملية التربوية<sup>(١)</sup>.

في ختام هذه القراءة حري بنا أن نتأمل:

حصلت المرأة المليبارية فعلا على حقها الكامل في التعليم والتعلم والأخذ بالعلوم والمعارف بعد أن ظهرت الكليات العربية والإسلامية الخاصة بها. انتهى عهد الأمية والجهل بنسبة كبيرة بين النساء المليباريات بعد ظهور الكليات العربية في قطاع العام والخاص. الطالبة المتخرجة في هذا المنهج على قدر من العلم للكتابة السليمة للغة العربية، اللغة الدينية لها. تكاد تثق الوفية المتخرجة على هذا المنهج بقدرتها كي تتماشى مع أختها العربية في الدراسات الأكاديمية والبحث العلمي في اللغة العربية. وتؤمن من إمكانها أن تأتي بمصنفات ذات قيمة علمية أكاديمية كما يأتي بها أخوها المليباري.

#### المصادر والمراجع

١. البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٢. يعي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى الجزائر، ٢٠٠١ م.
٣. خطة الدراسة، تنسيق الكليات الإسلامية المقر: مركز التربية الإسلامية، ٢٠١٢ م.
٤. د. محمد مطر الكعبي، دور المرأة في بناء المجتمع، دار القلم/دمشق. ط ١، ٢٠١٠ م.
٥. مجلة الرابطة، رابطة العالم الإسلامي، العدد ٥٧٩، فبراير ٢٠١٥ م.
٦. مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الأعداد: ٥٠، ٧٤، ٨٠.
٧. مجلة الوعي الإسلامي، رقم العدد ٥٣٠، دولة الكويت، ديسمبر ٢٠٠٩.
٨. الموقع الرسمي لتنسيق الكليات الإسلامية <http://www.wafycic.com/ar>
٩. الموقع الرسمي لأون إسلام نت <http://www.onislam.net/english/home.html>
١٠. الموقع الرسمي لإسلام أون لاين <http://islamonline.net>

١) ميزات الهامة في تنسيق الكليات الإسلامية، الموقع الرسمي لتنسيق الكليات الإسلامية - <http://www.wafycic.com/ar/favourites-and-attractions>